القروض الخ) أصبحت ادوات سلطة أقوى من الاكتناز ، ولكن القيم العقارية ما زالت مهمة . وهذا الارتباط بالارض، ينعكس في الامم المتحدة ، حيث تعتبر الامة امة — حسب تعريف ستالين — اذا شكلت وحدة اقليمية . التمسك بالارض ليس جديدا . ولكن شعوبا بلا أرض جابت التاريخ : المغول ، الهان ، الفاندال ، الفرنك ، والغجر وعدة قبائل افريقية وعربية . ويسميها التاريخ احيانا شعوبا . ومن غير المنطقي ان تعترف الامم المتحدة ، وهي تجمع لشعوب ساكنة ، بشعب بلا أرض ، كما ان رجلا بلا دار يعتبر متسكعا ويتعرض للسجن . والفلسطينيون مهما فعلوا معرضون لشتائم الآخرين وحتى لاحتقارهم . كل جهد سيبذل ، بلا شك ، لدعم اسرائيل في رفضها بأن تتحول فلسطين الى أرض . واسرائيل ذات خبرة ، فلها ماض من ألفي سنة من التشرد .

وهناك حاجة لدراسة للموضوع — وربما كان قد قام بهما فوستيل دو كولانج Fustel de Coulange في كتابه « المدينة القديمة » حول العلاقات بين امتلاك الارض والحصول على الاعتراف « بمحترمية » Réspectabilité اجتماعية .

واذا كان ما أقوله صحيحا ، فان اسرائيل التي كانت سبب تشردكم في انحاء العالم العربي ستعمل كل ما في وسعها كي لا تحصلوا على قطعة ارض — والا [illegible] أمامكم لمواجهة الوضع الحالي هو العمل ، بالعنف أو بدونه ، على الاراضي التي تمرون عليها . حتى الكنيسة الكاثوليكية، وهي « سلطة روحية » أراديت لها أرضا : الفاتيكان.

ربما كان من غير المستحيل ان نرى ، في تعلق البعض بالشخصية الفلسطينية ، التأثير الذي تتركه احيانا حركات التمرد الكبيرة . وفي هذه الحال ، لن يأتي التضامن مع هذه الشخصية الا من العناصر الهامشية : الطلاب ، النساء ، اليسار المتطرف ، الفنانين ، والصين نفسها في معزل (حتى الامس) . وتأييد الاتحاد السوفياتي ذو طابع آخر . لا بد من قراءة واستعادة كتاب فوستيل دو كولانج .

مهربان : الخيالي والعروبة

اين كان اذا هذا الشعب ؟ الارض التي تنساب تحت أقدامه ، مثل البساط ، لم تمنع هذا الشعب من تملك الوعي القومي والمحافظة عليه ، ولكن اين ؟ ليس الا على ارضيتين كلاهما غير مناسب : الخيالي والعروبة .

لا بد من رؤية طريقة تشكل هذا الكوكب الجديد : على أرض غير واضحة الحدود ، رمل متناثر من العائلات الملتصقة بالارض لانها تعيش عليها ، ولكنها حرة في تنقلها سواء وحدها أم في قوافل ، تجوب هكذا العالم الذي ينطق بالعربية من اقصاه الى ادناه — وحتى أبعد ، في العالم الذي يتلو القرآن . هذه العائلات ، أو الافراد ، تعود دائما الى منزلها في الخليل ، في حيفا أو القدس . ارضها هناك ، راسخة وغنية . ولكن شيئا فشيئا ، تذوب الارض ، تذوب حتى تختفي تحت أقدامها ، ولكن الشخصية الفلسطينية اتخذت وزنا اكبر فأكبر ، واذا أردنا ثقلا حقيقيا . ولكن ، في هذه الحقبة بالذات ، بعد سلبها من أرضها ، القت بثقلها المتزايد في اتجاه الخيالي والعروبة .

الخيالي ، بالنسبة لفلسطين ، ذو أثر حسن الى حد ما . اضطر الشعب الفلسطيني في افتقاده للارض الذي ربما أضعف شعوره القومي ، أن يكتشف في الخيالي قواعد يحافظ عليها بحرص حتى لا يتبخر في الحلم او في المثاليات . وفي الوقت نفسه ، وبعد المجازر الاردنية ، والتهديدات العلنية الاسرائيلية ، والتهديدات المبطنة الاخرى — التي لا بد من الاشارة اليها — من الدول العربية الاخرى ، استمرت فلسطين المحرومة من الارض في التكون كشعب مستقل .

في حديثي عن مخيمات اللاجئين ، يصعب عليّ ان اتخلص من فكرة تراودني : في عصر